

قليل من الناس من حظي بالتميز النادر في أن يكون مُنشىً تخصص أكاديمي حديث، ومن هؤلاء بيتر درُكر Peter Drucker الذي يتمتع بمثل هذا الشرف النادر، فهو «أبو الإدارة الحديثة»¹ المُعترف به والذي يُقرّ الجميع بأنه «الرجل الذي اخترع مجتمع الشركة»²، إذ أن كتاباته ومحاضراته وأنشطته في تقديم الاستشارات على امتداد ستين سنة وَنَيْف شكّلت لطلاب الإدارة إرثاً من العلم ومصدراً خصباً من الإلهام والمنهجية لاغنى عنه لكل من يتعاطى الأعمال.

لقد نودي بدرُكر على رؤوس الأشهاد سيّداً للإدارة، ويؤكد أدب الإدارة في نصف القرن الماضي على أنه أكثر المؤلفين الذين يُستشهد بهم في هذا المجال، وانعقد الإجماع على اعتبار كتبه منارات هداية في اختصاص الإدارة. يرى ناشرا صحيفة الإيكونوميست Economist جون مايكلثويت John Micklethwait وأدرين وولدريدج Adrain Wooldridge أن

1. أ. بينيت، «علامة الإدارة» صحيفة وول ستريت (28 تموز 1987).

2. ج. ج. تارانت، «دُكر: الرجل الذي اخترع مجتمع الشركة» (بوسطن: دار كتب كاهنرز - 1976).

«نظرية الإدارة أنتجت على الغالب حتى اليوم مفكراً (عظيماً) واحداً هو بيتر درَكر»³ الذي يعتبره الاقتصادي اللامع كينيث بولدينغ Kenneth Boulding «أكثر الفلاسفة أهمية في المجتمع الأمريكي»⁴. أما توم بيترز Tom Peters مستشار الإدارة البارز فيعلن أنه «لم يكن ثمة تخصص بالإدارة» قبل درَكر، ويضيف - جون مايكلثويت وأدرين وولدريدج في نفس المقطع - أن بيتر درَكر كان - مثل سميّه بيترأ الذي ورد اسمه في الإنجيل - الصخرة التي قامت عليها الكنيسة الحالية كما تؤكد الأصوات التي صاحت قبله في البرية»⁵. ويصنف المتخصص بالتسويق ج. س. ديه G. S. Day درَكر «على رأس قائمة» من ساهم باختصاص التسويق والذي «ظلت كتاباته عن طبيعة شركات الأعمال وأهدافها والتغلب على تعقيدات الاستراتيجية وتنفيذها باعثاً لكل شخص في كل حين على أن يفهم السوق»⁶.

وعلاوة على ذلك فإن عدداً من العلماء المتخصصين بالإدارة ينظرون بكل إجلال إلى درَكر على أنه مثال للصلة الوثيقة بميدان تخصصهم: روبرت كابلان Robert Kaplan في المحاسبة وألان لاكين Alan Lakein في إدارة الوقت وجورج هاريس George Harris في علم النفس وروبيرت هيلر Robert Heller في الإدارة المقارنة وإيدوارد هول Edward Hall في نظرية الاتصالات وجورج أوديورن George Odiorne في النظرية التنظيمية وميلفن كرانزبيرغ Melvin Kranzberg في التكنولوجيا. وقد قال غاري هاميل Gary Hamel وس. ك. براهالاد C.K. Prahalad اللذان يعتبران اليوم أبرز عالمين في استراتيجيات الشركات - تعليقاً على تأثيره الرائد: «لقد كان أيضاً دليلاً

3. جون مايكلثويت و أ. وولدريدج، الأطباء السحرة: إدراك مقاصد أساطين الإدارة (نيويورك: تايمز 1966)، ص 321.

4. ر. بو، «مشوار و حديث مع بيتر درَكر» أكروس دُ بورد، (شباط 1983)، ص 34.

5. مايكلثويت و وولدريدج، الأطباء السحرة، ص 64.

6. ج. س. ديه، الاستراتيجية المنبعثة من السوق (نيويورك: فري بريس، 1990) ص viii.

لايخيب نير الدرب إلى شؤون إدارة الغد»⁷.

إن سرد أسماء مدراء شركات الأعمال التنفيذيين الذين تأثروا بدركر بشكل مباشر يستغرق صفحات، ولكن المذكورين أدناه مثال مقتضب عن هذه اللائحة. وولتر ريستون Walter Wriston رئيس مجلس إدارة شركة سيتيكورب السابق Citicorp يقول: «بيتر شخص استثنائي يستطیع أن يطلّ من نفس النافذة التي نطل منها فيرى أشياء تختلف عما نرى»⁸. بيل غيتس Bill Gates من مايكروسوفت Microsoft يجيب على سؤال عن أكثر كتاب الإدارة الذين تأثر بهم فيقول «حسنٌ، درّكر بالطبع»⁹. مدير شركة جنرال إيليكتریک General Electric التنفيذي جاك ويلش Jack Welch مدين لدرّكر بقراره الرئيسي في الدخول إلى المغامرة ا بة: «فكرتي الرئيسية الأولى للشركة عام 1981 جاءت من بيتر درّكر، وتمثلت بقراري إما أن نكون الرقم واحد أو الرقم اثنين في كل أعمالنا - أو نترك العمل نهائياً»¹⁰. رئيس مجلس إدارة شركة إنتل Intel أندرو غروف Andrew Grove يعلق بقوله: «درّكر هو بطلي، يكتب ويفكر بوضوح أخاذ، وهو متميز بتفوقه بين متخبطين متاجرين بالبدع»¹¹. يصرّح مايكل كامبي Michael Kami مدير الأبحاث السابق في شركتي آي بي إم IBM وزيروكس Xerox بقوله: «بيتر درّكر هو دون شك أعظم علماء الإدارة في العالم، فهو لم يحتفظ بهذا المقام طوال أربعين عاماً فحسب بل استمر في إدخال مفاهيم جديدة وأفكار ابتكارية من أجل المحافظة على البيئة الاجتماعية والاقتصادية سريعة التغيير في الطليعة»¹².

-
7. ج. هاميل و س. ك. براهالاد، المنافسة على المستقبل (بوسطن: مطبعة كلية هارفرد لإدارة الأعمال، 1994) ص. xiv.
8. سي. سكرتسكي، «بيتر درّكر الدائم» واشنطن بوست (7 أيار 1989)
9. جون مايكلثويت و ولدريدج، الأطباء المحررة، ص 74.
10. ر. لينزر و س. س. جونسون، «رؤية الأشياء على حقيقتها» فوربس (10 آذار 1997) ص 124.
11. لينزر و جونسون، «رؤية الأشياء» ص 124 .
12. م. ج. كامبي، نقاط محفزة (نيويورك: ماك غرو - هيل، 1988)، ص 71 .

إن استطلاعاً لرأي مدراء شركات الأعمال والهيئات التدريسية في الجامعات والمستشارين يمكن بسهولة أن يوسع من تلك اللائحة التي مُلئت مديحاً، ولكننا يجب أن ننظر في وجهات نظر مغايرة. آغا حسن عابدي Agha Hasan Abedi مؤسس BCCI تفاخَرَ ذات يوم أمام العاملين لديه بأنه أفضل من بيتر درّكر بفهم الإدارة، ووصفَ عالمِ علماء الإدارة بأنه متمرّن¹³. وبالطبع فإن حسن عابدي كان مسؤولاً عن واحدة من أكبر الإنهيارات المصرفية في التاريخ.

يتميّز معظم الانتقاد الموجّه إلى درّكر بمثل هذه السطحية، إذ قيل على سبيل المثال إنه فيلسوف مكتبي لم يعمل بجدول رواتب أبداً، وصحفي أكثر منه عالم، ورجل يستخدم النوادر على سبيل الأمثلة، وشخص تنقصه الشهادات الأكاديمية في الإدارة، وباحث مسكين (لأنه رفض أن يؤيد مناقشاته بالملاحظات والصيغ والنظريات الرياضية والأنماط). هناك حاجة بالطبع إلى دراسة تحليلية نقدية معمّقة لآرائه، ولم تظهر مثل هذه الدراسة حتى اليوم.

إن عدم وجود نقد مادي هو دليل مناظر على القيمة الدائمة لمؤلفات درّكر، ذلك أن أية مراجعة عادية لأدب الإدارة تكشف النقاب عن عدد مدهش من المؤلفين الذين لا يدينون بالفضل في كثير من مادتهم في هذا المجال إلى درّكر. ولعل أفضل تفسير للسبب قد ورد في ملاحظة تيودور ليفيت Theodore Levitt من جامعة هارفرد Harvard: «ليس من أحد يقرُّ بصحة عبقرية رجل ما أكثر أهلية من الشخص الذي ينتحل آراءه، ولا بد لرجل منتج مبدع بارع مثل درّكر أن ينتحل منه الكثيرون، وها أنا ذا أعترف بكثير من الامتنان لدرّكر وبكل فخر أنني واحد من مجموعة كبيرة من المتحلمين. إذا كان التقليد هو أسمى صيغ التزلف فإن الإنتحال يجب أن يحظى ببركات

13. ب. ترويل و ل. غوروين، المراجيح المزوّرة (بوسطن: هيوتون ميفلين، 1992)، ص 184.

الإله الإجتماعية، وإذا كان قد خلق عبقرية لامثيل لها فليس أمامه إلا أن يصفح عن المتحلمين منه ما لم يكن يرغب في ألا تتجسد هذه العبقرية بنسخ لا يُنسخ عنها»¹⁴.

مما يثير السخرية أن يقال عن درّكر إن التعليم الرسمي في مجال الإدارة ينقصه، ومع ذلك فالكتب والمقالات في هذا التخصص ذاته زاخرة بالاستحسان الذي لاليس فيه لأفكاره ونظراته الملهمة. لقد اعترف ليفيت - في معرض تأمله في السبب الذي دعى الكثيرين من الكتاب إلى الاستعارة من درّكر بِحُرّيّة بلغت حد الهوس بالاختلاس الفكري - أنه قد وصل إلى أن يكون «منتحلاً مصمماً بكل تقدير... لطريقة درّكر وفكره الثاقب بحيث يكاد يتحيل على أدق الملاحظة أن تمكّن القارئ من إدراك الانتحال أو كتابة درّكر، وهذا لايزيد من احتمالية الانتحال إلى حد كبير فحسب، بل يجعل المتحل يشعر بقليل من الذنب أيضاً»¹⁵.

ليس من قبيل التهويل أن يصبح اسم بيتر درّكر مترادفاً مع نظرية الإدارة وممارستها. وهذا يعني إمكانية استكشاف فائدة عدد من الأسئلة التي تدور حول مسيرة درّكر العلمية، التي من ضمنها: ماهي المؤثرات التي شكلت تفكيره؟ ماهي القوى والوقائع التي حدثت في حياته ووجهته نحو مجال الإدارة؟ ماهو الأثر الذي ولدته أولى كتاباته الأكاديمية على مستقبل التخصص بالإدارة؟ وما هي المنهجيات وتقنيات التفكير التي كوّنت أساس تحليلاته؟ سوف أستطلع في هذا الكتاب بشيء من التفصيل هذه الأسئلة وغيرها مما يتصل بالموضوع.

إني أكتبُ هذا العمل بدافع من الصداقة والعلاقة الشخصية التي امتدت

14. ت. ليفيت، «إرث بيتر درّكر الحي» في مطبوعة ت. ه. بونابارت و ج. ي. فلاهيرتي بيتر درّكر: مساهمات في مشاريع العمل (نيويورك: مطبعة جامعة نيويورك، 1970) ص 6 - 7.

15. ت. ليفيت، «إرث بيتر درّكر الحي» ص 7.

أربعين سنة مع بيتر درَكر، وذلك بفضل بعض خبراتي الخاصة التي تسنت لي من ذلك: المشاركة بتأليف كتاب عن مساهماته الإدارية، وتفحص جميع الصفوف وورشات البحث التي عقدها في جامعة نيويورك على فترة تزيد عن عشر سنوات غطت أواخر خمسينيات ومعظم ستينيات القرن العشرين، وحضور الغالبية العظمى من محاضراته العامة على مدار العقود الثلاثة الأخيرة، واستخدام الكثير من أفكاره الملهمة وتقنياته في مسيرتي التعليمية، وتطبيق مبادئه عندما يُطلب إليّ تقديم المشورة للزبائن أو تنفيذ ورشات بحث لمدراء شركات الأعمال التنفيذيين، والاستفادة بطبيعة الحال من معرفته ونصائحه التي حظيتُ بها من خلال أحاديث ومراسلات عديدة لا تحصى على مرّ السنون. وهذا التعرّض جعل مني متلقياً لتناضح فكري من مؤلفاته لانظير له مَنحني مصداقية ودرجة من الصدق بوصفي مفسراً لأعماله.

لعل من أكثر وجوه الأهمية المتعلقة بهذا الكتاب هي أنه مَنحني القدرة على تجنب اجترار أفكار درَكر وعلى ترصيع النص بتقويمات شخصية من أجل إلقاء مزيد من الضوء على الموضوع، وقد تبدت الصورة الواضحة لتلك الطريقة في الحكم في نمط المثال الذي يحتذى في التغيير والذي طرحته في الفصل السابع، وهو بالطبع يتميز بانحراف كبير عن الدَرَكرية، لأن درَكر كان على الدوام متعباً في أنماطه. غير أنني مع ذلك لم أخفف من جوهر فكرة درَكر وروحها لأن هذا المدخل يستخدم بطرق عديدة صورة معالجة درَكر العضوية للربط بين مبادئ الإدارة الجوهرية في وجه الإنحدار الديناميكي للاستمرارية المتبادلة والتغيير. لقد استخدمت في مناسبات عديدة عبارات مثل بيّن درَكر أو في رأي درَكر في تقديم فرضيات وأحكام استنتاجية للتحاليل العديدة التي طرحها. وإني لآمل من خلال هذه الحريات التي أتحتها لنفسي أن أكون قد أضفت المزيد من الوضوح وقوة الحجة إلى المضمون.